مفهوم الشعر عند الزَّهاوي

د. حسن غانم الجنابي د. كاظم جاسم العزَّاوي
جامعة بابل/ كلية القانون

مُقدِّمة

تمثل هذه الدراسة محاولة للكشف عن مفهوم الشعر وماهيته عند الشاعر جميل صدقي الزَّهاوي، الذي يُعد واحدا من الشُّعراء الذين حاولوا إرساء مفاهيمهم الخاصة للشعر، والتبشير بها ـ بوصفها رؤىً معبرة عن فلسفاتهم ـ بين الأوساط الأدبية والنقدية، وذلك بغض النظر عمَّا إذا كانت تلك الرؤى والدعوات موفَّقةً نامية أو تلك التي لم تستطع الإثباتَ والثَّباتَ أمام تيار التجريب الشخصي ـ لأصحاب تلك الدعوات والرؤى ـ أو التجريب العام الذي يمارسه غيرُهم من المبدعين.

ومن هنا فإننا نسعى لاستقراء حيثيات محاولة الزَّهاوي تلك والإجابة عنها ؛ أهي تُمثِّلُ مغامرةً من مغامرات المُترفين ؟!، أم تعبيراً عمَّا يجول في خلَدِ الطامحين ؟!. ولأجل ذلك اجتهدنا في تقسيم هذا البحث على ثلاثة مباحث، أما الأول منها فيتضمن ماهية الشعر عند الزَّهاوي، ويضم تعريف الشعر وأقسامه ؛ وأما المبحث الثاني فيتناول الغاية من الشعر، ورسالة الشعر والشاعر على حدٍّ سواء، في حين يتضمن المبحث الثالث رُؤية الزَّهاوي للموضوع الشعري ووحدة الموضوع، لنخلص بعد ذلك إلى خاتمة نجمل فيها أهم النتائج التي قاد إليها البحث.

المبحث الأول

ماهية الشعر ـ

منذ عام 1912 أبدى الزَّهاوي عديدا من الآراء في الشعر، وبعض آرائه تلك جاءت منظومة، وآراء أُخرى اختار لها طرق التعبير المألوفة التي تُقدَّمُ فيها الآراء وتُشرح من خلالها الأفكار، إذ تحدث الزَّهاوي عن ذلك للمرة الأولى[1]، ثم في محاضرة ألقاها على قاعة المعهد العلمي في بغداد عام 1922 تحمل عنوان (الشعر)[2]، ثم كتب مقالة تحت عنوان (حول الشعر والنثر) عقب فيها على مقالتين إحداهما للدكتور طه حسين والثانية للدكتور هيكل على صفحات صحيفة السياسة الأسبوعية في العام نفسه، ثم اشترك في مجموعة من الردود والمناقشات حول الشعر والشعر العصري على صفحات الصحف العراقية، ولاسيما مجلة الإصابة التي كان هو يديرها في عام 1926 [3].

وفصَّل الزَّهاوي رأيه في الشعر بمقالة نشرها في مجلة لغة العرب، ثم صيَّرها مقدمة لديوانه (اللُّباب)[4]، إذ إنه كان حريصا على أن يقدم لدواوينه الشعرية (الرباعيات، والديوان، واللُّباب، والأوشال) بمقدمة معبرة عن نزعته الشعرية وآرائه.

أولا: تعريف الشعر:ـ لقد أكثر الزَّهاوي من الحديث عن الشعر، فكان شأنُه شأن الشعراء المُجَدِّدين يقوم له رأيٌ فينظم التعبير عنه شعراً[5] أو يطلقه نثرا في مقالة أو محاضرة. ولم يعد الزَّهاوي ـ في تحديده الشعرَ ـ ليؤمن بأن الشعر هو الكلام الموزون المُقفَّى[6]، بل نعت ذاك بأنه تعريف العروضيين وهو بعيد عن جوهر الشعر، لأنه مطبوع بالطابع المقنن فأهمله إهمالا تاما، إذ قال: " ولا ألتفت إلى ما يقوله العروضيون في تعريفه من إنه الكلام الموزون المُقفَّى، فإن هؤلاء غيرُ شعراء ولا ينتظر ممن لا يكون شاعرا أن يُعرِّفه"[7]، وحاول أن يجد تعريفا جديدا نابعا من فهمه لهذا الفن الأدبي، فقال: "إنه الكلام

1 – ينظر؛ شعراء العصر، محمد صبري، مطبعة هندية بالموسكي / 1962:ج 2/ المقدمة.
2 – ينظر ؛ سحر الشعر، رفائيل بطي، المطبعة الرحمانية، القاهرة/ 1922:1/ 17–83.
3 – ينظر؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د.علي عباس علوان، مطبعة وزارة الإعلام، بغداد/ 1975:101.
4 – ينظر؛ محاضرات عن جميل صدقي الزَّهاوي، ناصر الحاني، مطبعة المعرفة بغداد / 1954:15.
5 – ينظر ؛ م.ن: 15.
6 – ينظر ؛ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت337، تحقيق كمال مصطفى، ط القاهرة / 1963، 1949: 11.
7 – سحر الشعر:25 ؛ وينظر ؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق، د.عباس توفيق، دار الرسالة، بغداد: 146.

الكبير الموسيقي"[1]، وكأنه يؤكد بذلك التعريف على عنصري المضمون (الكلام الكبير) ـ وإن كان هذا التعبير عاما وليس له معنى محدد ـ والوزن (الموسيقى)[2]، والشعر عند الزَّهاوي لا يُحد ولا يخضع للقوانين، إذ يرفض الزهاوي وجود قواعد وسنن يسير عليها الشعر ويتقيد بها، لأن الشعر ما هو إلا شعور الشاعر، ولا يمكن وضع قانون للشعور لتحديده، فالتقنين ووضع الحدود أمام الشاعر من شأنه أن يقيده ويمنعه من التجديد والنهوض، وفي ذلك يقول: "ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد، حر لا يتقيد بالسلاسل والأغلال"[3]؛ وهو بذلك يريد للشاعر أن يكون حراً في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه تلبية لحاجة العصر، ولأجل ذلك تجده يدعو للتجديد في الأوزان كما دعا إلى الشعر المرسل ونبذ القافية [4].

بعد أن قطع الزَّهاوي شوطا طويلا في مضمار الشعر، لم يتغير عنده تعريف الشعر، فهو مازال يعده التجربة التي يمكن أن تؤثر في القارئ أو السامع التأثير نفسه الذي اعتلج في نفس الشاعر ودعاه إلى نظمه [5]، فالشعر عند الزَّهاوي " " شعور الشاعر وقد خرج من مخدعه وهو قلبُه، وقد اتحد اتحادا أثيريا بشعور آخر هو النفحة التي نُسمِّيها وزنا وقد ركبا أجنحة الألفاظ الخفيفة ليطيرا معا مرفرفَيْن رفرفةَ الفَراشِ الجميل على زهر الرياض، فيصلا إلى الأسماع بعد أن يحدثا في طريقهما أمواجا خفيفة في الهواء ومنها إلى مخادع قلوب أُخر هُنَّ قلوب أصحاب تلك الأسماع ويثيرا ما هنالك من الإحساسات الراقدة"[6]؛ وعلى ذلكَ فإن الزَّهاوي لم يقدم تعريفا علميا محددا لمفهوم الشعر، بقدر ما هو وصف لبعض خطوات العمل الشعري[7]، ولكنه حاول أن يبين أثر التجربة (الشعور) في نفس المُتلقي وما يثيره من أحاسيس، كما عدَّ الزَّهاوي (الهِزَّة) التي تثيرها القصيدة في النفس ميزانا يُوزن به الشعر الجيد، ويؤكد ذلك بقوله:" ميزان جودة الشعر عندي هو أن يَهُزَّني، فإذا هَزَّني الشعر اخترتُه غير مُلتفتٍ إلى مقام قائله"[8]، وهو بذلك يصدر في فهمه الشِّعرَ عن بُعدٍ انطباعي انطباعي عما يترك الشعر من تأثير في نفس المُتلقي، فالشعر عند الزَّهاوي حسٌّ نابع من أعماق النفس البشرية، يهزّ المتلقي ويطبع في نفسه ما طبع في نفس قائله، فيُعرِّفُ الشعر بقوله:" الشعر ما ينظمه الشاعر عن إحساس يجيش في نفسه بأوزان موسيقية فيهز السامع"[9]، ويؤكد ذلك بقوله [10]:

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقا أن يقال له شعر

وبسبب نزوع الزَّهاوي إلى الانعتاق من التعريف القديم، تجده يسعى إلى تبني تعريف جديد أكد فيه أهمية صدق الشعور في الفن الشعري، إذ يقول:" إن الشعر هو الكلام الفصيح المعبر عن شعور قائله"[11]، وهو يريد بالشعور حيثيات التجربة الشعرية، وحتمية انفعال الشاعر بإزاء الحدث[12]، وهو بهذا الفهم إنما يلفت نظر الشاعر إلى تجاربه الخاصة

---

1 – مقدمة شعراء العصر:2/ 6.

2 – ينظر ؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 24.

3 – نزعتي في الشعر، ديوان جميل صدقي الزَّهاوي، ط بيروت / 1979: أ؛ وينظر؛ نظرية الشعر، منيف موسى، دار الفكر اللبناني، بيروت / 1984:211.

4 – ينظر ؛ حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، موريه، ترجمة سعد مصلوح، مطبعة المدني، القاهرة/ 1969:3 وما وما بعدها ؛ وينظر نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 212 وما بعدها.

5 – ينظر؛ أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزَّهاوي، د. داوود سلوم، معهد البحوث والدراسات، بغداد / 1984: 131.

6 – سحر الشعر: 17.

7 – ينظر ؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 102.

8 – سحر الشعر: 64.

9 – نزعتي في الشعر: أ.

10 – ديوان الزَّهاوي، تقديم محمد يوسف نجم، دار مصر للطباعة، القاهرة / 1955: 237.

11 – سحر الشعر: 17.

12 – ينظر ؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 149.

ويَسعى إلى إبعاده عن التقليد، فالشعور هو الحد الفاصل عنده بين التقليد والتجديد[1]، ولذلك جعل امتزاج الشعور بالشعر معيارا له بقوله:" وأحسن ميزان للشعر هو امتزاجه بالشعور"[2]، ونفهم من ذلك أنه عدَّ الشعور نقطة البداية ومنطلق الشعر[3]، وفي ذلك يقول: الشعر لست أقولهُ إلاّ كما أنا أشعرُ [4]

ويريد الزَّهاوي للشاعر" أن يخرق التقاليد التي ورثها الأبناء عن الآباء، فيقول ما يشعر به هو لا ما يشعر به آباؤه"[5]، آباؤه"[5]، مؤكدا الشعور الحقيقي النابع من ذات الشاعر والمعبر عن روح عصره لا أن يشعر بشعور القدماء، كما يدعو الزهاوي إلى التجديد في الشعر على أن يكون ذاك مشروطا بالشعور الصادق، فهو يرى " أن ينظم الشاعر عن شعور عصري صادق يختلج في نفسه لا عن تقليد"[6].

إنَّ دعوة الزَّهاوي إلى رفض التقليد تتجاوز رفض تقليد الشعور إلى رفض تقليد تقنيات دخيلة تخص الوزن والقافية، لذا هو يرفض أن يقلد الشاعر العربي شعراء الغرب في شعورهم، ويريد من الشاعر أن يكون صادرا عن نفسه، لذلك يقول: "ولا أريد بالتجديد أن يقلد الشاعر العربي شعراء الغرب في شعورهم، فإن لكل أمة شعورا خاصا بها لا تحس به أمة أخرى كالموسيقى ؛ ألم ترَ أن كلا من الشعر الغربي والشعر العربي إذا ترجم إلى الآخر فقد كثيرا من روعته، اللهم إلا إذا تصرف المترجم فقربه من شعور قومه أو كان الشعور الذي يترجمه مشتركا بين الأمتين"[7].

فالزَّهاوي لا يريد التقليد ولا يؤمن بنسخ الشعر، ويتفق مع الجاحظ على أن الشعر لا يترجم، "ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوِّل تقطع نظمه وبطل وزنه، وذهب حُسْنُه، وسقط موضع التعجب فيه"[8]؛ ولا يكون التقليد في نظره إلا للطبيعة، فالطبيعة هي المثال أو المُلهِم الوحيد للشاعر، لذلك يُستحبُّ " الشعر الخالي من المُبالغات المُنطبق على الطبيعة مع المحافظة على الشعور العربي الذي هو قوام شخصيته"[9]؛ ويقول أيضا: "وأنزع أن أمشي بشعري في سبيل الحياة الطبيعية الطبيعية [...] فكلما رجعت إلى نفسي أحيد به عن الطريق الذي يمشي عليه غيري معتقدا أن الطبيعة أولى بالتقليد: مازلت في جو من الفكر طائرا ومن عادتي أن لا أطير مع السِّربِ

وقد جردتُه ما استطعتُ من الصناعات اللفظية والخيالات الباطلة، وحرصتُ على أن يكون منطبقا على الواقع خلوا من الإغراق، ماشيا مع العصر، فحسبي أن توحي الطبيعةُ إلي فأقول:

حبذا الشعرُ إذا كا ن مثيرا للشعـور
وإذا كان نـزيـهـا كأغـاريد الطيور " [10]

ويقول في ذلك أيضا:

والشعر قائله بِتَقْ ليد الطبيـعـة أجـدر
إن الطبيعة مورد للشاربـين ومـصـدر
والشعر مرآة بها صُوَرُ الطبيعة تظهر [1]

---

1 – ينظر ؛ م.ن:150.
2 – مقدمة شعراء العصر: 3.
3 – ينظر ؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 102 – 103.
4 – ديوان الزَّهاوي:73.
5 – م. ن: 73.
6 – الأوشال (ديوان)، جميل صدقي الزَّهاوي، بغداد / 1934: المقدمة/ و.
7 – نزعتي في الشعر: ج ؛ وينظر؛ نظرية الشعر:213.
8 – الحيوان، أبو عمر الجاحظ، دار صعب بيروت: 1/ 54.
9 – نزعتي في الشعر: ؛ وينظر ؛ أثر الفكر الغربي: 304.
10 – م. ن: د ؛ وينظر ؛ أثر الفكر الغربي: 302.

وإذا كان الزهاوي قد عدَّ (الشُّعور) نقطة البداية ومنطلق الشعر، فقد سبق له ـ في رأي غريب ـ أن عدَّ (الفكر) منطلقا وبداية أيضا بل هو تجل من تجليات الشعر، إذ يقول:"... أرفع ما في الإنسان هو العقل، وأرفع ما في العقل هو الفكر، وأرفع ما في الفكر هو الشعر"[2]، ولعله يبدو متناقضا ـ برأيه هذا ـ في تعريفه الشعر فمرَّة يعد (الشعور) نقطة البداية ومنطلق الشعر، وفي أخرى يعد (الفكر) هو المنطلق والبداية، وهو ما يشير إلى نوع من عدم الاستقرار أو الغموض والالتباس في تحديد مدلول كلمة (شعر)[3].

وانطلاقا من نظرة الزَّهاوي إلى العقل والفكر، فإنه لا يودّ أن يكون نصيب الخيال في الشعر كبيراً بل يودُّ أن يكون للعقل النصيب الأكبر، وقد كشف عن هذا الرأي بقوله:" وأحسن الشعر في نظري ما استند إلى الحقائق أكثر من العواطف والخيال البعيدين عنها فكانت حصة العقل فيه أكثر من حصتهما"[4]، وهو في موقفه هذا من العقل وترجيحه إيَّاه، يبدو تقليديا وغير بعيد عن موقف الأقدمين ومنهم ابن طباطبا العلوي الذي يرى في العقل جماع الأدوات الشعرية، الذي به تتميز الأضداد[5]، وكأن الزَّهاوي يسعى في هذا الرأي إلى تجريد الشعر عن كونه فنّاً، وتحويله إلى شعر تعليمي يستند إلى الحقائق العلمية والفلسفية، وهو منحىً ينسجمُ مع عقليته العلمية التي كانت ترجح على عقليته الأدبية[6] وربما كان في الشِّق الأخير من دعواه (علمنة المنجز الشعري وإدخال الحقائق العلمية المستجدة) أجلى مظاهر التزحزح عن التقليدي إن لم يكن المسار الوحيد من بين مسارات الزحزحة تلك، فضلا عن أن رأي الزَّهاوي في العقل ينسجم تماما مع الوظيفة الإصلاحية للشعر عنده، الأمر الذي سيتم تناوله في المبحث الثاني من هذا البحث.

ويبدو أن الزَّهاوي كان حريصا على أن يكون الشعر مطابقا للواقع ومعبرا عنه بوضوح، الأمر الذي جعله ينصرف عن تبيين المكانة الحقيقية في الشعر، وهو يرى أن الحقيقة تحمل جمالها في نفسها، وأحسن الشعر هو ما يجلوها عريانة[7] وفي ذلك نقرأ له [8]:

كغادة ما على وجـــ ـهها الجميل قناعُ

وعليه لا ضرورة لتزييف الحقائق أو الابتعاد عنها، وفي ذلك يقول: "وقد جرَّدتُ شعوري ما استطعت من الصناعات اللفظية والخيالات الباطلة، وحرصتُ على أن يكون منطبقا على الواقع، خلوا من الإغراق، ماشيا مع العصر"[9]، مؤكدا ذلك بقوله[10]:

ولقد جئتُ بالحقائق أشدو وتركتُ الخيال للشعراء

فلا يرى الزَّهاوي الشِّعرَ مصوِّرا للعاطفة فحسب، إذ عدَّ ذاك تضييقا لحركة الشعر فمن " الناس مَنْ لا يحسب من الشعر إلا ما كان مصدرا للعاطفة، وهذا تضييقٌ لمجال الشعر، بل الشعر كل ما هزَّ السامع سواء كان عاطفة أو وصفا أو فلسفة، وأروع ما في الغرب اليوم ما بُني على العلم" [11]؛ كما دعا الزَّهاوي إلى النظم بوحي من الشعور الصادق البعيد عن

---

1 – ديوان الزهاوي، دار العودة: 73 ؛ وينظر ؛ نظرية الشعر: 214.

2 – شعراء العصر:2/ 4.

3 – ينظر؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق:103.

4 – اللُّباب، الزَّهاوي، مطبعة التراث، بغداد، ط1، 1928:المقدمة أ– ب.

5 – ينظر ؛ عيار الشعر، ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي، تحقيق، عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت: 11.

6 – ينظر؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق:282.

7 – ينظر ؛ لغة الشعر العربي الحديث في العراق، د.عدنان العوادي، دار الحرية للطباعة، بغداد/ 1985: 149 – 150.

8 – الديوان: 1/ 263.

9 – اللباب: أ . ب.

10 – الديوان: 1/ 428.

11 – الديوان: 1/ 135.

الكذب والزَّيف، لكي يتحقق له التأثير في المتلقي " فالشعر الذي لا يُبكي قائله لا يُبكي سامعه"[1]، وهذا هو معنى الصدق على الأقل، الصدق الواقعي (صدق الشعور) الذي يراد له أن يعالج شؤون الحياة، ومن هنا كانت دعوة الزَّهاوي إلى التجديد قائمة على الأصالة الشعرية المستفيدة من رؤية العالم والحياة ومستمدة من الثقافات، شريطة أن تكون نابعة من روح العصر ومن مجتمع الشاعر، لذلك نزع الزَّهاوي بشعره في سبيل الحياة الطبيعية متجنبا المبالغات و(الخيالات الباطلة) ومن هنا كانت الطبيعة أولى بالتقليد[2].

ثانيا: أقسام الشعر:ــ

رفض الزَّهاوي تقسيم الشعر على أغراض كما هو شائع عند القدماء بل لا يستحسن ذلك، ويرى أن بعض الخلط قد حصل في تقسيم الشعر على أقسام ـ كما يسميها ـ وقد سماها القدامى أغراضا شعرية، فهو لا يتفق معهم على تقسيم الشعر على مديح وهجاء وحماسة وفخر ونسيب وعتاب...الخ، إذ إن هذه ليست (أقسام الشعر) بل هي من أغراض الشاعر[3].

ويقترح الزَّهاوي تقسيما جديدا غريبا يخلط فيه أسلوب الشعر ومكوناته وأدواته وأغراضه ومضامينه، بقوله " الشعر في أصله إحساس ثم تُوُسِّعَ فيه فكان في آونة خيالا، ومرة وصفا أو رواية، أو حكمة، وهناك شيءٌ فوق الوصف هو التصوير أدخلتُه في قسم الوصف"[4]، والزَّهاوي قي تقسيمه هذا يفرق بين الإحساس والشعور، فجعل الإحساس قسما من أقسام الشعر، في حين إن الإحساس دافع من دوافع قول الشعر كالشعور، كما عدَّ بعض أدوات الشعر ووسائله من أقسامه كـ(الخيال و(الرواية/ الحدث) فضلا عن (الوصف) و(التصوير) إذ جعلهما أيضا من أقسام الشعر، وهي من وسائل التعبير عن أفكار الشاعر وتجاربه، ثم وافق القدماء على عدِّ الحكمة قسما من أقسام الشعر، وهم جعلوها غرضا من أغراضه، الأمر الذي يشير إلى اضطراب وتناقض في مواقف الزَّهاوي من التقسيم القديم بين معارضة وموافقة لذلك التقسيم، وهو بتقسيمه هذا لم يصدر عن وعي مُدرك وثقافة راكزة، بل حاول أن يقحم نفسه في تجربة تنظيرية لم تكن قد اكتملت أدواتها عنده بعد، ولو أنه جاء بتقسيم كتقسيم الأوربيين للشعر كالغنائي والملحمي والتعليمي...الخ لكان أقرب إلى المعقول والمقبول من تقسيمه المضطرب[5]*؛ ويبدو مما تقدم أن الزَّهاوي كان ينطلق في تقسيمه ذاك من نظرته إلى وظائف الشعر، فعدَّها أقساما له.

المبحث الثاني

غاية الشعر:ـ

إن متغيرات الحياة العامة في العراق ـ في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ـ

قد أنتجت آثارا واضحة انعكست على محاولات الزَّهاوي أسوة بمُجايليه في بحثهم عن طبيعة معينةٍ لما أطلق عليه ((الشعر العصري)) من ناحية الوظيفة والخصائص.

---

1 – شعراء العصر:2/ 6.

2 – ينظر؛ نظرية الشعر: 214.

3 – ينظر ؛سحر الشعر:75، وينظر ؛ أثر الفكر الغربي:132.

4 – سحر الشعر:72، وينظر أثر الفكر الغربي:132.

5 – ينظر؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق:107.

* – مثَّل الزَّهاوي لأقسامه التي اقترحها (الإحساس والخيال والوصف والرواية والحكمة) بأمثلة من أشعار القدماء لأبي صخر الهذلي وأبي العتاهية وتأبط شرا والفرزدق وزهير بن أبي سُلمى المُزني، ثم ختم حديثه عن ذلك قائلا: وقد يحتوي البيت الواحد أو البيتان والثلاثة على أصلين من الأصول (الخمسة) التي ذكرتها كأن يكون ما قاله الشاعر منبعثا عن إحساس وشعور ويكون مع ذلك محتويا على حقيقة من الحقائق أو وصفا لحالة من الحالات. للمزيد يُنظر؛ سحر الشعر:73، ويُنظر؛ أثر الفكر الغربي:296–298.

لقد أفرز ذلك الوضع غير المتوازن لديه شعورا مشوبا بالخوف والغموض، والتطلع والإحباط، فبلغ درجة من الاضطراب والتعقيد بالقدر الذي كان مدعاة لاضطراب موقفه من تلك التحولات، التي كانت في الوقت ذاته حافزا على شحذ طاقته ضمن درجة وعيه وتكوينه الثقافي وموهبته الشخصية [1].

لقد انطلق الزهاوي في الأساس من الرغبة بالتجديد والدعوة إليه ونبذ التقليد والجمود على القديم، وإن جوهر التجديد يعني التعبير عن روح العصر؛ ومن هنا يمكن أن تتضح الأسباب التي دعت إلى اضطلاع الشعر والشاعر برسالة، فالشعر رسالة والشاعر صاحبها [2].

تتلخص غاية الشعر عند الزَّهاوي بثلاثة محاور، يتمثل الأول منها بأن يكون الشعر عصريا، في حين يتمثل المحوران الثاني والثالث برسالتي الشعر والشاعر على حد سواء، وسنحاول تقديم رؤية الزَّهاوي لهذه المحاور فيما يأتي:-

أولا ؛ الشعر العصري:ـــ

ينطلق دعاة الشعر العصري ومنهم الزَّهاوي من الرغبة بالتجديد والدعوة إليه، ونبذ التقليد والجمود على القديم، وربما كان الزَّهاوي أشد مُجايليه حماسا للتجديد، ومعنى التجديد عنده "أن ينظم الشاعر عن شعور عصري صادق يختلج في نفسه لا عن تقليد"[3].

وبسبب من عناية الزَّهاوي بالشعور العصري راح يدعو إلى الشعر العصري الذي ينم أحيانا عن جعل الغرض حدا فاصلا بين القديم والجديد، وذلك بجعل كل ما يحيط بالشاعر مادة لشعره[4]، ولذلك يرى الزَّهاوي أن الشاعر ابن البيئة وأن" شعور الشاعر المتولد من فعلٍ للمحيطِ كبيرِ التأثير في روحه فيبرزه في صورة ألفاظ"[5]، فالشعر العصري عنده هو الذي يعبر به ناظمُه بصدق عن شخصيته وبيئته وعصره وظروفه، وقد بين الزَّهاوي تلك النواحي بقوله: "قد اختلف الأدباء في تعريف الشعر العصري غير أني أرجح ما أشرتُ إليه سابقا من كونه شعور الشاعر[الذي يبرزه] في صورة ألفاظ موزونة تعرب عنه فلا يكون إلا صادقا لا تشينه مبالغة، وسهلا ليس عليه من التكلف ما يذهب بصفائه وروعته وهذا هو الشعر الحقيقي في كل عصر، وإذا كان هناك اختلاف فهو متولد من اختلاف المؤثرات بحسب العصور"[6].

ومن مواصفات الشعر العصري، أن يكون ملائما لروح العصر، خاليا من الصناعات اللفظية وزخرفيات العصور المظلمة، وأن لا يكون مقلدا لما سبقه من الشعر القديم[7]، ويرى الزَّهاوي أن الشعر يشبه "الأحياء في اتباعه سنة النشوء والارتقاء...يتجدد ويرتقي من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط إلى المركَّب"[8]، ويرى أن الشعر العصري ما كان يقال لدواعٍ لدواعٍ عصرية أكثرها اجتماعي، كأن يكون تسجيلا لمشاهد يومية لظواهر حياتية سلبية، فيَعمد إلى تقبيحها والاحتراز منها، أو مشاهد إيجابية يعمد إلى تحسينها وإفراغها بقوالب النظم بهدف تمثلها وإتباعها، أو يكون ذلك الشعر انعكاسا لمناظر الطبيعة أو حالة وجدانية أو روحية يصفها ويقربها إلى الأذهان[9]؛ وبذلك يكون الزَّهاوي قد استند إلى النظرة التي ترى في

1 – ينظر؛ لغة الشعر الحديث في العراق: 132– 135.

2 – ينظر؛ م. ن:135.

3 – الأوشال: و.

4 – ينظر نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 150.

5 – سحر الشعر: 25.

6 – م. ن: 25.

7 – ينظر ؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 106.

8 – سحر الشعر: ؟

9 – ينظر ؛ سحر الشعر: 71.

الشعر وسيلة تعليمية، الأمر الذي دعاه إلى عدِّ الحقائق العلمية والأفكار المجردة والمخترعات العلمية من (الدواعي العصرية)، التي يجدر درجها في باب الشعر العصري[1].

ثانيا ؛ رسالة الشعر:ــ

لقد ذهب الزَّهاوي إلى عدم حصر رسالة الشعر في جانب معين من جوانب الحياة، غير أن ذلك الاتساع في المساحة التي يغطيها الشعر لم يثنِ الزَّهاوي عن الاجتهاد في وضع حدود لما ينبغي للشعر أن يكون عليه، وذلك عندما عد الشاعر عصريا إذا ما كان معبرا عن آمال المجتمع وآلامه، وعلى وفق ذلك يكتسب الشعر قيمته مما يحمل من قدرة على التأثير والإصلاح، ويؤكد الزَّهاوي ذلك بقوله[2]:ـ

يمارس شعري اليوم إصلاح أُمَّةٍ فللّه شعري اليوم ماذا يمارسُ

وهذا يعني أن الزَّهاوي أراد أن ينيط بالشعر مهمة تعليم المجتمع وإصلاحه، بل جعل تلك المهمة الغاية الأسمى للشعر والهدف الأعلى الذي يكافح من أجله، بل لا يرى للشعر حقيقة سواها*، وفي ذلك يقول [3]:ـ

هي الحقيقة أرضاها وإن غضبوا وأدَّعيها وإن صاحوا وإن جلبوا

كما أوكل الزَّهاوي للشعر مهمة الانقلاب "من الفساد إلى الإصلاح ومن الاستبداد إلى الحرية والخروج من الظلمات إلى النور"[4]، وذهب إلى أبعد من ذلك حين عد الشعر سلاحا في أيدي الطبقات المحرومة والشُّعوب المناضلة، فالشعر "ثوران الأرواح التي تهيج كالبراكين المضغوط عليها فتنفجر وتقذف بالنار والحِمَمِ على رؤوس الضاغطين [...] وهو موقظ الأمم، والنافخ فيها أرواحا جديدة تطالب بحقوقها المهضومة وتدرأ عنها عادية الاستبداد" [5].

أما الوظيفة الفنية للشعر (الفن للفن) أو الوظيفة الإمتاعيَّة، فقد كان الزَّهاوي قد عدَّها بالدرجة الثانية من الوظيفة التعليمية، لأنه يرى في الشعر متنفسا لأرواح البشر، التي بها حاجة الرجوع إليه كلما حزنت أو طربت [6]، فالشعر الحقيقي الحقيقي ما حرَّك الانفعال عند سامعه وأثَّر فيه[7].

ثالثا؛ رسالة الشاعر:ــ

حين ذهب الزَّهاوي إلى تحديد وظيفة الشاعر، بدا متذبذبا بين موقفين متناقضين إلى حدٍّ ما ــ في ظاهرهما ـ فتجده يعبر عن وجهة نظر رومانتيكية تارة، وينطلق من وجهة نظر واقعية تارة أخرى، فهو يرى أن الشاعر ابن البيئة وإن شعوره متولد من فعل المحيط الذي يؤثر في روحه تأثيرا كبيرا، فيبرزه على هيأة ألفاظ[8]، والشاعر عنده ذاك الشخص " الذي لذعته الهموم في فؤاده اكثر من مرة، فعرف كيف يئن من قرحه الدفين ويجعل سامعيه يثنون عليه"[9]، كما يدعو الشاعر لأن يكون معبرا بأمانة ومسؤولية عن شعور مجتمعه، وأن يكون واقعي النتاج، فليس "الشعر إلا شعور الشاعر التابع لشعور الشعب الذي هو فرد منه"[10]، وهو بذلك يحض الشاعر على أن يتخذ موقفا معارضا، بل لابد له أن يكون بمثابة

---

1 – ينظر؛ لغة الشعر العربي الحديث في العراق: 138– 139.

2 – الديوان: 1/ 255.

* – يكاد يتفق الزَّهاوي في ذلك تماما مع ابن طباطبا، إذ يسندا للشعر مهمة إصلاح المجتمع وتعليمه، ينظر ؛ عيار الشعر: 16.

3 – الديوان: 1/ 316.

4 – مقدمة شعراء العصر:2/ 9 ؛ وينظر ؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق:26.

5 – سحر الشعر:22.

6 – ينظر؛ سحر الشعر 23.

7 – الديوان: 237.

8 – ينظر؛ سحر الشعر: 25.

9 – م. ن: 66. وينظر؛ أثر الفكر الغربي:139.

10 – م. ن: 70.

رأس الرمح، في الاحتجاج ورد الظلم والثورة على النظام الفاسد والسلطان الجائر، وأن لا يهاب في الصدق لومة اللائم[1]، ولعل ذلك الذي حمل الدكتور داوود سلُّوم على القول بأن: " الزَّهاوي قد وقع بين حجري الطاحونة من حيث لا يشعر، وإن كان شعره قد عكس الاتجاهين، وجعل المناسبة هي التي تقوده وليس المبدأ"[2]، ونحن لا نرى في عدم الالتزام والتزَمُّتِ غضاضة تستحق ذلك الوصف، فلا يجب أن يُحجَرَ الشاعر في زنزانة المذهب الواحد والموضوع الواحد، ليُعدَّ الخروج على ذلك مثلبة عليه، فقد اجتهد الزَّهاوي في أن يكون صاحب رسالة ودعوة لمعالجة القضايا الاجتماعية والاهتمام بما يهم المجتمع كُلَّه، ليكون الأدب الحديثُ ومنه الشعر واقعيا يلتزم الدفاع عن فكرة أو قضية، لأن ارتباط الأدب بالواقع يجعله أكثر تحسسا لحركة التطور التي تنبع منها الأفكار، ومن هنا يمكن تفسير تخلِّي الزَّهاوي عن الموضوعات ذات الطبيعة الفردية والاتجاه نحو موضوعات تدخل في صميم الحياة اليومية، وهي ذات طبيعة جماعية تهم المجتمع لا الأفراد[3]، لأن التعبير عنها يقع في الصميم من رسالة الشاعر.

المبحث الثالث

الموضوع الشعري ووحدة الموضوع:ـ

أولا؛ الموضوع الشعري:ــ كتب الزَّهاوي كثيرا عن الشعر، مبينا آراءه فيه، ومع ذلك فهو شاعر له تجربته الخاصة مع الموضوع الشعري والمضمون في القصيدة، غير أن الآفاق المحدودة لتطور المجتمع العراقي كما هي عليه مجتمعات المنطقة ـ في بدايات القرن العشرين ـ لم تُتِح للزَّهاوي كما لم تُتِح لغيره إمكانية أن يكون له وعي ذاتي لشخصيته أو رؤيةٌ ذاتيةٌ ومُفلسِفَةٌ للواقع نابعة من أحاسيس ومعاناة خاصة، ليتمكن من خلالها أن يعيد تشكيل العالم (الواقع) داخليا كما يراه هو ذاتيا لا كما يراه في الخارج موضوعيا، وبعبارة أخرى ؛ لم يكن له أن يشيد حقائقه الشخصية الخاصة به بدلا من تلك الحقائق العامة التي هي شبيهة بالظواهر الطبيعية[4]، إن ذلك المستوى من الوعي لم يتحقق للزَّهاوي في ظل مجتمع متخلِّف، يعاني الكبت الفكري نتيجة الخضوع لسلطان التقاليد الاجتماعية، الأمر الذي جعل الشعر يكتسب طابعا محدودا في رؤية الحياة، فاقتصرت رؤية الشاعر للواقع على ظواهره الفكرية والسياسية والاجتماعية والعلمية والطبيعية وهي جميعها حقائق الواقع خارج الذات [5]، فالزَّهاوي يبيح للشاعر أن يطرق الموضوعات العلمية والطبيعية، إذا كان الشاعر مُنفعلا لها، لها، إذ أن هناك " حقائق علمية ونواميس طبيعية قد اكتشفها أفراد من العلماء فإذا بنى الشاعر شعره على بعض هذه الحقائق فمن الحيف أن يوصم بالأخذ، وأي تثريب على من يبني القول على ما أقره العلم؟!"[6]، كما لم يرَ غضاضة في أن يعالج الشاعر موضوعات العاطفة والوصف والفلسفة، فيقول:"وأجود مضامين الشعر ما كان تصويرا للطبيعة أو الإحساسات أو وصفا منطبقا على الواقع أو رواية ممثلة بحادثة أو فلسفة ناطقة بالحقيقة"[7]؛ وقد دعا الزَّهاوي الشاعر العصري الى معالجة الموضوعات العصرية بدوافع عصرية أكثرها اجتماعي النزعة[8]، وهو يرى أن شاعر الأجيال لا يموت شعره لأنه مبني على الحقائق الخالدة، على الرغم من قلة هذا النوع من الشعراء[9].

---

1 – ينظر؛ م. ن:22.

2 – أثر الفكر الغربي في الشعر العربي الحديث في العراق: 139.

3 – ينظر ؛ نظرية الشعر: 510 ؛ وينظر؛ لغة الشعر العربي الحديث في العراق: 141.

4 – ينظر ؛ لغة الشعر الحديث في العراق: 143.

5 – ينظر ؛ م. ن: 143.

6 – ديوان الزهاوي، ط، دار العودة: 7.

7 – م. ن: 7.

8 – ينظر ؛ سحر الشعر: 71.

9 – ينظر ؛ نزعتي في الشعر: 304.

وقد اقترن الشعر لديه بطبيعة موضوعه، لذا هو يعد الصدقَ المعيار الأساس لقيمة الشعر، الأمر الذي يعني مطابقته للحقيقة، وفي ذلك يقول " الشعر الخالد هو ما انطبق على الحقائق:

وان احسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا " [1].

إذن مهمة الشاعر لديه تتجلى في مدى مطابقة شعره للحقيقة، فضلا عن وضوح المعنى من دون حشو أو تعقيد، وفي ذلك يقول:ـ والشعر بالمعنى المطا بق للحقيقة يكبرُ [2]

وإذا كانت الحقيقة هي المرجعية الأساس للمعنى في الشعر، فليست عناصر الشكل إلا وسائل لأداء ذلك المعنى أداءً مباشرا يقوم على الإبانة والوضوح[3]، ولذا ثار الزَّهاوي على الوزن والقافية في الشعر من خلال الشعر:ـ لعمرك ليس الشعر شيئا هو الوزن ولا لفظ ضاق عن فهمه الذهنُ

بل الشعر معنى رائق يوقظ الهوى ولفظ رقيق مثلما يطلب الفنُّ[4]

والمعنى الواضح يستدعي اللفظ الصحيح، لأن المعنى لا يصلح إذا فسد لفظُه:ـ

يقولون للمعنى عن اللفظ غِنيةٌ وهل يصلح المعنى إذا فسد اللفظ ؟![5]

وبذلك يتضح أن دعوة الزَّهاوي للتجديد في أوزان الشعر وقوافيه ولغته، كانت تهدف التخفيف في التعبير الواضح عن الموضوع، ومن ضمن ما دعا إليه في هذا السياق، دعوته لاستعمال اللغة اليومية المتداولة، بعد تهذيبها واتخاذها لغة للكتابة[6].

وفيما يتعلق بالموضوع الشعري أيضا عند الزَّهاوي، تُلحظ ظاهرة تكرار المعاني إذ تُغطي مساحات واسعة من دواوينه، ويسوغ لنا الزَّهاوي ذلك بقوله: "قد يتكرر عندي المعنى الواحد في بيتين أو أكثر، وذلك لقلة حفظي لما قلتُه، أو حُبَّاً بالمعنى وحرصا على طلب الإجادة في نظمِه [7]، وعليه لا يجد الزَّهاوي من حيف في تكرار المعاني (الموضوعات) المطروقة، بل سَخرَ ممن يعيب عليه ذلك ويقول فيه:" كأنه يقول: قد سرق الزَّهاوي من الزَّهاوي"[8]، كما لا يجد الزَّهاوي غضاضة في أن ينظم شعرا في موضوعات سبقه إليها غيرُه، بل راح يدافع عن موقفه ذلك ويسوغه، نافيا أن يكون الشاعر سارقا إذا تصرف في طرائق التعبير عن تلك المعاني، وقد أورد ثلاثة أحوال لما يعده النقاد سرقة في حين يرى في ذلك ؛ إما أن يكون تواردا في الخواطر، وفي هذه الحالة لا يعلم الشاعر أنه مسبوق، ويظن أن ما جاء به جديد ؛ وإما يكون اشتراكا في المعاني، لأن المعنى أو الموضوع لا يختص به شاعر دون غيره، بل هو في متناول كل واحد يأخذه ويضعه في موضعه المناسب، وليس ذلك من باب السرقة بل المُجيد فيه أحق به من غيره وإن تأخر عنه في الاستعمال، ويدرج في ضمن ذاك ما يُنظَمُ في التعبير عن الحقائق العلمية، لأنها حقائق ثابتة ومملوكة للجميع [9]، والاحتمال الثالث أن يكون من من باب تهذيب المعنى، فالشاعر الذي يأخذ المعنى ويهذبه من الحشو والفضول يستوجب الحمد لا الاتهام بالسرقة !، وجاء في معرض ردِّه على مَنْ اتهمه في قوله:ـ

---

1 – سحر الشعر: 70.

2 – ديوان الزهاوي:1/ 271.

3 – ينظر؛ لغة الشعر العربي الحديث في العراق:144.

4 – ديوان الزهاوي: 1/ 265.

5 – م. ن: 1/ 290.

6 – جاء ذلك في صحيفة السياسة الأسبوعية ع78 لسنة 1927:18– 19، نقلناه عن نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 217. 217.

7 – ديوان الزَّهاوي، ط دار العودة: 9.

8 – الأوشال: المقدمة. وينظر؛ أثر الفكر الغربي: 136.

9 – ينظر؛ نزعتي في الشعر:305، وينظر ؛ نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 67.

لو كان يسعى مِنبَرٌ لسعى إليك المِنبَرُ

بأنه مأخوذٌ عن قول البحتري:ــ ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المِنبَر

جاء ردُّه قائلا:" ولو أنصفني الناقد لحمدني على حذفي الفضول في بيت البحتري، فجعلته أخف على اللسان منه وأعلق بالروح"[1].

ثانيا ؛ وحدة الموضوع:ــ

تعد وحدة الموضوع من بين القضايا الداخلة في دائرة اهتمام الزَّهاوي، فهو لا يحبِّذُ أن تقتصر القصيدة على موضوع واحد، ويعيب على الداعين إلى وجوب أن تكون القصيدة خاصة بموضوع واحد دعواهم تلك، مستهجنا منهم ذلك الموقف حين قال: " من الشعراء العصريين من لا يُجَوِّز أن تشتمل القصيدة الواحدة على مطالب مختلفة، ولكن لا أرى رأيه، وأي لوم على من أطال قصيدته وجعلها في مطالب مختلفة تربط بعضها ببعض مناسبات[...] وإن كانت ضعيفة فيمتع القارئ أو السامع بألوان مختلفة من الأدب في القصيدة الواحدة " [2]، غير أنه اشترط لذلك نوعا من الفصل بين مطلبٍ وآخر من مطالب القصيدة، فضلا عن استيفاء عناصر الموضوع الواحد من دون مبالغات، كما أوجب على الشاعر مقاربة الحقيقة ومراعاة الميول العصرية وتوجهات المجتمع الذي يغني له [3].

وقد وصف الزَّهاوي المنادين بوحدة الموضوع بأنهم متأثرون بالأدب الغربي، الذي يوجب أن تكون القصيدة الواحدة مختصة بفكرة واحدة، أو وصفا لشيء واحد، ورأى في ذلك أنه ليس من الشعر في شيء، بل هو تابع لأذواق الشعراء وطرائق تعبيرهم، غير أنَّ الزهاوي يناقض موقفه هذا حين يقول: "ولا ينوع الشاعر المُبرز في العربية الموضوع في كل قصيدة، فكثيرا ما يحصر شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد"[4]، ثم عاد ليعبر عن ميله لأن تكون القصيدة مشتملة على أكثر من موضوع يفضي بعضُها إلى بعضِها بمناسبة، مع المحافظة على نوع من الفصل بين تلك الموضوعات، لتكون القصيدة كالروضة "الغنَّاء محتوية على مختلف الأزهار وهذا أقرب إلى الطبيعة، وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافي ما يفعله شعراء الغرب ولكل أمَّةٍ سياق ونزعة ليست لأختها"[5].

فالقصيدة على وفق رؤية الزَّهاوي تفتقد الوحدة الموضوعية، إذ تجيء حافلة بالأغراض العديدة والموضوعات المختلفة، ومن أمثلة ذلك قصيدته (خطرات) التي اكتشف بنفسه فيما بعد أنه يمكن تقسيمها إلى قصائد عدَّة مُختلفة الأغراض فجاءت في ديوانه المطبوع موزعة تحت عناوين مختلفة: ليلى أطلِّي[6]، إذا هلكت[7]، من أجل ليلى وأجلي[8]، يا يا بلاد اشتعلي[9]؛ وقد طَبَّقَ الزَّهاوي فكرة اشتمال القصيدة على موضوعات مختلفة وأغراض عديدة في قصائده موافقا في ذلك ما درج عليه العرب في شعرهم القديم وبنائه الفني، الأمر الذي يكشف عن تناقض بين دعوة الزَّهاوي للتجديد نظريا ووقوعه في أسر التقليد تطبيقيا، وكأنه في الحالة الأخيرة قد انطلق بروح المحافظة على الشعور العربي القديم الذي هو قوام شخصيته[10].

---

1 – ديوان الزَّهاوي، ط دار العودة، بيروت / 1979: هـ.

2 – سحر الشعر: 68.

3 – ينظر ؛ م. ن: 68.

4 – السياسة الأسبوعية 3 سبتمبر 1927، نقلناه عن أثر الفكر الغربي: 135.

5 – م. ن: 135.

6 – الديوان ؛ ط دار العودة: 11.

7 – م. ن: 39.

8 – م. ن:144.

9 – م. ن: 295.

10 – ينظر ؛ نظرية الشعر: 276.

إن فقدان الوحدة الموضوعية الذي دعا إليه الزَّهاوي، يعود بنتائج خطيرة على العمل الشعري، لَعلَّ أوَّلها ؛ الشَّتاتُ العام الذي يصيب البناء كله، لا من جهة استجلاء الغرض واستقصائه، وإنما من ناحية تسلسل الأفكار والصور ونموِّها، فضلا عن تأثيرها المفاجئ المستمر في التوصيل[1]، إذ إن الوحدة تعني التناسق والتناغم بين الصور التي تتألف منها القصيدة[2]، وإذا ما حدث أن انتقل الشاعر من موضوع إلى الآخر، فإن عملية النمو لابد لها أن تنقطع وتتوقَّف، الأمر الذي يضطرُّه إلى تجميع الصور وإلصاقها في سياق القصيدة، ما يعني الآتيان بها مصنوعة وليست نابعة من ضرورة التجربة المعيشة وسياقها الخاص.

والنتيجة الثانية ؛ إن فقدان الوحدة الموضوعية يعني أن القصيدة لم تعد تمثل تجربة محدودة، لها نهاية محتومة، يحسها الشاعر ويقف عندها عندما يشعر أنه قد فرغ من توتر حاد كان يجيش في صدره ليُشعِرَ بانتهاء تجربته، فالزَّهاوي ـ على ذلك ـ يستطيع القول في كل وقت وفي أي موضوع، الأمر الذي يمكن أن نتصور معه امتداد القصيدة لديه، لتصل إلى مئات الأبيات (المطوَّلات) وهو ما يسمى بـ (طول النَّفَسِ)[3]، وبذلك يصح له أن يُوصَفَ بأنه.. القائل الفصيح وليس المُعاني في حدود التجربة الذاتية [4]، أو بعبارة أخرى ؛ نجده راصدا ومُسجِّلا لكل ما تقع عليه عينه، على نحو نظمٍ آلي.

1 – ينظر ؛ تطور الشعر العربي الحديث في العِراق: 161.

2 – ينظر ؛ نظرية الشعر: 377.

3 – ينظر ؛ تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 162.

4 – ينظر ؛ م. ن: 163.

مصادر الدراسة

1. أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزَّهاوي، د. داوود سلوم، معهد البحوث والدراسات، بغداد / 1984.
2. الأوشال (ديوان)، جميل صدقي الزَّهاوي، بغداد / 1934.
3. تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د.علي عباس علوان، مطبعة وزارة الإعلام، بغداد/ 1975.
4. حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، موريه، ترجمة سعد مصلوح، مطبعة المدني، القاهرة/ 1969.
5. الحيوان، أبو عمر الجاحظ، ت 255 هـ، دار صعب، بيروت، د.ت.
6. ديوان الزَّهاوي، ط دار العودة، بيروت / 1979.
7. ديوان الزَّهاوي، تقديم محمد يوسف نجم، دار مصر للطباعة، القاهرة / 1955.
8. سحر الشعر، رفائيل بطي، المطبعة الرحمانية، القاهرة/ 1922.
9. شعراء العصر ج 2،، محمد صبري، مطبعة هندية بالموسكي / 1962.
10. عيار الشعر، ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي، تحقيق، عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
11. اللُّباب، الزَّهاوي، بغداد، ط1، 1928.
12. لغة الشعر العربي الحديث في العراق، د.عدنان العوادي، دار الحرية للطباعة، بغداد/ 1985.
13. محاضرات عن جميل صدقي الزَّهاوي، ناصر الحاني، مطبعة المعرفة بغداد / 1954.
14. نظرية الشعر، منيف موسى، دار الفكر اللبناني، بيروت/ 1984.
15. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت337، تحقيق كمال مصطفى، ط القاهرة / 1963، 1949.
16. نقد الشعر العربي الحديث في العراق، د.عباس توفيق، دار الرسالة، بغداد.

خاتمة البحث

بالاستناد إلى مجمل الآراء والرُّؤى التي قال بها الزَّهاوي وتبناها، فيما يتعلق بماهية الشِّعر ووظائفه وموضوعاته، يمكننا أن نوجز أهم النتائج التي خلصنا إليها في هذه الدراسة فيما يأتي:ـ

1- يتأسس مفهوم الشعر لدى الزَّهاوي على ركيزتين، تتمثلان بالشعور والفكر، أما الشعور فيريد به التجربة الشعرية المعبرة عن انفعال الشاعر بإزاء حدث معين، إذ جعل الصلة بين الشعر والشعور معيارا للحكم بجودة الشعر من رداءته، وأما الفكر فهو الأساس الثاني الذي يكشف عن رفعة بنية العقل، ويترجم مداركها شعريا، إذ إن " أرفع ما في العقل الفكر، وأرفع ما في الفكر الشعر" وانطلاقا من نظرة الزَّهاوي الساعية إلى عَقْلَنَةِ الشعر، نجده ينأى بالخيال بعيدا عن الشعر ويقلل من أهميته، فأحسن الشعر لديه ما استند إلى الحقائق العلمية والفلسفية.

2- يرى الزَّهاوي أن الشعر يفضل النثر لأنه يشتمل على شُعورَيْن، الأول الشعور بالكلام من جهة كونه كلاما، والشعور بالوزن المعبر عن توقيعات موسيقية تستحسنها الأسماع وتلذُّ بها النفوس.

3- بناءً على ركيزة الشعور أيضا جاءت دعوة الزَّهاوي لأن يكون الشعر عصريا، أي معبرا بصدق عن شعور العصر، فالشعور بروح العصر حدٌّ فاصلٌ بين القديم والحديث.

4- يرى الزَّهاوي أن للشعر وظيفة إصلاحية وتعليمية، الغاية منها تبيان الحقائق العلمية العامة، المبنية على أسس أخلاقية فهي تكتسب أهميتها من طابعها التنويري، كما تحمل تأثيرها بذاتها لا من نظرة الشاعر الخاصة لها، إذ إن وظيفة الشاعر لا تعدو كونه ناقلا لتلك الحقائق، ومُخرجا إياها بإطار نظميٍّ جميل، وليس للشاعر أن يعيد تشكيل تلك الحقائق على وفق رؤيته الذاتية، وهذا يعني أن هناك انفصالا بين ذات الشاعر والموضوع، وهذا الانفصال يفضي بالنتيجة لأن تتمثل علاقة الشاعر بالموضوع بأنها علاقةُ تَفَكُّرٍ عقلي، يعمل الشاعر على بيانه وإيضاحه.

5- ليس للشعر أن يقوم على التقليد، وإذا كان لابد من تقليد فإن الطبيعة أَوْلى بأن يقلدها الشاعر من دون سواها، وبذلك يكون الشعر نوعا من محاكاة الطبيعة، إذ تتم تلك المحاكاة على نحو انعكاسي، تنفعل الذات للطبيعة فتنعكس الطبيعة إلى شعور معبر عن فكرة ومعنى كما الصورة في المرآة.

6- الشعر لدى الزَّهاوي ينطق بمضمونه، وأن المضمون هو الذي يفرض الشكل، ومن هنا جاءت دعوة الزَّهاوي للتحرر من القيود التي تحد من حرية التعبير عن الأفكار، فالشعر" فوق القواعد حر لا يتقيد بالسلاسل والأغلال ".

7- ينبغي للشعر أن يكون معبرا عن المعنى بوضوح، ومُبتَعَدا به عن الصناعات اللفظية والخيالات الباطلة، ومُنطبِقاً على الواقع، كما يراد له أن يكون معبرا عن روح العصر.

8- لا يرى الزَّهاوي أهمية لأن تكون القصيدة معبرة عن موضوع شعري بعينه، بل هو يفضل أن يكون العمل الشعري جامعا ومشتملا على أكثر من موضوع، حتى لو أدى ذلك إلى استطالة القصيدة لتضم مئات الأبيات، لأن ذلك أغنى لديه وأجزل في التعبير عن غِنَى الطبيعة وتنوعها.